مجلة الدراسات الأثرية ISSN: 1111-7699
المجلد: 21 العدد: 2023/01/ص ص : 131-142 EISSN2600-6499

أدوات الزينة عند المرأة في العصر الاندلسي
-العلب العاجية نموذجا-

نعيمة مختيش♦[1]
[1]جامعة زيان عاشور- الجلفة-mekhtichenaima26000@gmail.com

تاريخ الإستلام : 2019/02/10 تاريخ القبول : 2021/12/28 تاريخ النشر : 2023/12/30

ملخص:
تعتبر العلب العاجية الاندلسية التي كانت تمتلكها نساء الاندلس لحفظ الحلي و أدوات الزينة و العطور من أروع التحف الفنية التي خلفتها الحضارة الاسلامية في الاندلس ،حيث تميزت بجمال صنعها و تعدد أشكالها و تنوع مواضيعها الزخرفية ، حين أبدعت أنامل الفنان المسلم في نقشها و تزيينها مما أكسبها جمالية فنية خاصة تبوأت بها مكانة هامة في مجال الفنون الزخرفية الاسلامية .
كلمات مفتاحية : الاندلس ، التحف الفنية ،العلب العاجية ،الفنون الزخرفية الاسلامية ، الجمالية الفنية

Résumé:
Les boîtes en ivoire Andalous qui appartenaient aux femmes d'Andalous pour préserver leurs bijoux et leurs outils d'ornement sont parmi les plus beaux objets de la civilisation islamique d'Andalousie, caractérisés par la beauté de leur fabrication, la diversité de ses formes et la diversité de ses thèmes décoratif quand l'artiste musulman lui a valu une esthétique artistique particulière, Où elle a pris une place importante dans les arts décoratifs islamiques.
Mots clés: Andalous Objets d'art- Boites en ivoire -Arts décoratifs islamique-Esthétique artistique .

Abstract:
The Andalusian ivory boxes that belonged to Andalusian women to preserve their jewels and ornamental tools are among the most beautiful objects of the Islamic civilization of Andalusia, characterized by the beauty of their manufacture, the diversity of its forms and the diversity of its decorative themes when the Muslim artist earned her a particular artistic aesthetic, where she took an important place in the Islamic decorative arts.
Keywords: Andalusian Art objects - Ivory boxes - Islamic decorative arts - Artistic aesthetics.

♦ المؤلف المرسل

مقدمة:

كانت و لا زالت الفنون الزخرفية الاسلامية التي شهدتها الحضارة العربية في الأندلس مصدر الهام للفنون السابقة و اللاحقة ، بما خلفته من عمائر و تحف فنية تميزت بالثراء الفني الذي امتزجت فيه مهارة الصانع و ابداع الفنان، و لعل أروع الأمثلة على ذلك العلب العاجية الأندلسية ذات القيمة الفنية و التاريخية،والتي كانت تصنع خصيصا لجاريات الخلفاء و زوجاتهم اما لحفظ العطور و العنبر و المسك ، أو لصيانة حليهن و أدوات زينتهن .

فالكثير من هذه التحف تصور لنا من خلال نقوشها مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الاندلس، و تحمل إلى جانب زخارفها المختلفة والمتناسقة نصوصا تاريخية تتضمن اسم من صنعت له و تاريخ صنعها،و في بعض الأحيان اسم المكان الذي صنعت فيه،الأمر الذي يزيد من أهميتها و يجعل منها لا مجرد تحف تملأ أنظار العين بجمالها و ترهف الحس بانسجامها و دقة صنعها،بل يجعل منها في الواقع وثائق تاريخية و حضارية لها قيمتها في كتابة تاريخ الحضارات الإسلامية ،

فالى أي مدى وصل التطور الفني لهذه النوع من الفنون الصناعية ،و ما هي أهم القيم الفنية و الجمالية التي طبعتها فنون الزخرفة الاسلامية على هذه التحف الفنية .

1- مراكز انتاج و صنع العلب العاجية في الأندلس:

شهد عصر قيام الدولة الأموية بالأندلس (316-138هـ/755-928م) ازدهارا و رقيا في مختلف المجالات حيث حرص الأمير عبد الرحمن الداخل (182-138هـ/755- 788 م) منذ توليه الامارة على توطيد دعائم الأمن و الاستقرار السياسي و الاقتصادي في الأندلس ، و اهتمامه و عنايته بالإنشاء و التعمير ، و ذلك تشييده للمنشآت المعمارية كالقصور و المساجد و المتنزهات[1].

و استمرت الأندلس في عهد الامارة بتلقي المؤثرات الحضارية من المشرق الاسلامي و خاصة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (206- 248هـ/821-852م) ، و الذي أخذ يساير حركة الازدهار الحضاري و اعتبرت فترة حكمه من أزهى فترات التاريخ الاندلسي والتي اتسمت بالعديد من مظاهر العمران و التحضر ، حيث كان له اهتمام خاص بالمنشآت و المباني، كما أنشأ دارا لسك النقود و دارا للطرز تضم مصانع النسيج لإنتاج مختلف أنواع المنسوجات و الأقمشة، و نمت في عهده صناعة السفن و الأساطيل الحربية ، و مختلف أنواع الصناعات[2] .

وسار على درب هذا التقدم والرقي الحضاري أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس بإنشائهم العمائر و تشجيعهم لمختلف الصناعات ،ومن أهمها المصنوعات العاجية التي تميزت بها دار الصناعة بقرطبة و مدينة الزهراء في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، و التي كان من أروع منتوجاتها العلب و الصناديق الخاصة بحفظ العطور و الحلي و المجوهرات ،ومما يشير الى ازدهار الصناعات العاجية خلال هذا العصر أن الخليفة عبد الرحمن الناصر أهدى لموسى بن أبي عافية سنة (322هـ/933م) نماذج من التحف العاجية كان من بينها " **حُقٌّ عاج أبيض فيه**

[1] – مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب و الاندلس، مكتبة الاسرة، (د م) ،2004، ص ص 305 ، 306 .

[2] – ابن عذارى ابو عبد الله محمد المراكشي، البيان المغرب في اختصار أنباء ملوك الاندلس و المغرب ، مج2، تحقيق بشار عواد محمود، محمود بشار عواد ، دار الغرب الاسلامي ، تونس 2013 ،ص 136 .

عود بخور مطري بعنبر ، و حُقٌّ عاج أخر بأوصال فضية أيضا داخله قدح عراقي مملوء غالية مرتفعة ، و حُقٌّ عاج ثالث بأوصال فضية مبسوطة الأعالي فيه بخور الملوك ... و حُقٌّ عاج رابع أوصاله فضة أيضا فيه ذريرة للصيف تستعملها الملوك .. ..و غشاء ديباج فيه مشط عاج كبير سلطاني لتسريح اللحية"[3].

كانت تجارة العاج من التجارات الرائجة التي اشتغل بها الغانيون و المغاربة ما بين غانة و السودان في الجنوب و بلاد المغرب في الشمال[4]، و قد استوردت الأندلس كميات كبيرة من العاج ، مما وفر المادة الخام اللازمة لهذه الصناعة،حيث استخدم العاج في تزيين قصور مدينة الزهراء التي أمر ببنائها الخليفة الناصر سنة 325 هـ / 936 م، اذ كان يوجد في كل جانب من جوانب المجلس المسماة (بقصر الخلافة) في الزهراء " **ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس المرصع بالذهب و أصناف الجواهر** "[5].

ازدهرت صناعة التحف العاجية في عهد الخليفة المستنصر ثم توقف النشاط الفني لهذه الصناعة بعد وفاته، لتعود في عهد الحاجب عبد الملك بن منصور،غير أن خراب قرطبة و الزهراء في أوائل القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي اثر اشتعال الفتنة في الأندلس أدى الى توقف دار الصناعة في كل منهماعن الانتاج ، فانتقل محترفو صناعة العاج للعمل في أماكن أخرى ، وكان من بينها مدينة قونكة احدى مدن مملكة طليطلة في عصر الطوائف[6]، غير أن العلب العاجية التي أنتجتها دار الصناعة في قونكة كانت غنية بزخارفها و لكنها فقيرة في مادتها لعدم توافر المادة الخام، فلم يكن من السهل الحصول عليها من المغرب بعد سقوط الخلافة، و هكذا أصبح استخدام العاج وقفا على كسوة رقيقة تنفذ فيها الزخارف بحيث تمكننا من رؤية أرضيتها الخشبية.[7]

ثم انتقلت صناعة العاج الى اسبانيا المسيحية بعد سقوط طليطلة في أيدي الاسبان سنة (478هـ/1085م)[8]، حيث هاجر الصناع الى مدينة غرناطة و استقروا فيها ، الأمر الذي ساعد على نموها و تطورها في ظل دولة بني الأحمر ، اذ استخدم العاج في صناعة الصناديق الصغيرة ، و علب العطور، و أحجار الشطرنج كما استخدم في تزيين مقابض و أعمدة السيوف و في تطعيم السقوف و الصناديق و حشوات الأبواب و المنابر الخشبية بزخارف من العاج[9] .

---

[3] – ابن حيان ابو مروان حيان ، المفتبس ، ج 5 ، المعهد الاسباني العربي للثقافة ، بالرباط ، مدريد ،1979،ص.44.

[4] – السيد سالم عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج 2 ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1997، ص132.

[5] – المقري شهاب الدين، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، مج 1 ،تحقيق احسان عباس ، ، دار صادر ، بيروت ، 1968 ،ص 527.

[6] – جوميث مورينو مانويل ، الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة لطفي عبد البديع ، السيد محمود عبد العزيز ن مراجعة جمال محرز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977 ، ص ص 368،355.

[7] – السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ،ص،134.

[8] – جوميث مورينو، المرجع السابق، ص 469.

[9] – يوسف فرحات ، غرناطة في ظل بني الأحمر، دراسة حضارية ، دار الجيل ، بيروت ،1993،ص 124.

2- تقنيات صناعة و أساليب زخرفة العلب العاجية:

يعتبر العاج من المواد النادرة التي استخدمت عبر حقب التاريخ في صناعة بعض أدوات الزينة كالعلب المخصصة لحفظ الحلي و الأمشاط ، و صناعة التماثيل الصغيرة و مقابض المدى و السيوف و أرجل الأرائك، أو في تطعيم بعض التحف المصنوعة من الخشب[10].

وهو مادة صلبة تكون القسم الأكبر من الأسنان ، و هو مثل العظم في التركيب إلا انه يختلف عنه في خلوه من الخلايا[11]، و يتميز العاج بليونته في النقش و بسهولة الحفر فيه، ، وهو ليس من المواد الخام التي يسهل الحصول عليها من باطن الأرض أو في الصخور المعدنية كالذهب و الفضة و الحديد و النحاس ، فمصدره مقتصر على أنياب الفيلة التي لا تتوفر إلا في أعماق القارة الإفريقية أو في الهند ، و لهذا السبب عد لندرته و صعوبة الحصول عليه من المواد النفيسة[12] **(الصورة رقم 1).**

لقد شاع استخدام العاج عند قدماء المصريين، كما عرفته الفنون الصناعية في العصر البيزنطي[13]،و في العصر الاسلامي سار الصناع المسلمون على نهج البيزنطيين في استخدام هذه المادة في صنع أدوات الزينة و الترف و لكنهم أدخلوا في أشكالها و في تفاصيل زخارفها الكثير من التطور. فجعلوا الغطاء المسطح للعلبة مستطيلة الشكل على شكل التركيبة المقبرية التي على شكل هرم ناقص ، كما اتخذوا للعلب الاسطوانية الشكل أغطية مقببة أو نصف كروية يتوسطها من أعلاها نتوء على شكل ثمرة صنوبرية أو برعم بعد ان كانت الغطاءات مسطحة [14] .

تنقسم العلب العاجية الأندلسية من حيث أشكالها الى نوعين فمنها العلب المستطيلة الشكل و التي تتخذ لحفظ الحلي، أما الأسطوانية منها فهي لحفظ المسك و العنبر و الكافور ،كما يشير الى ذلك النقش الكتابي المسجل على غطاء احدى العلب الأسطوانية الشكل المحفوظة بالجمعية الاسبانية بنيويورك[15] . **(الصورة رقم 2).**

يتضمن النقش بأسفل غطاء العلبة على الأبيات التالية :

منظري أحسن منظر..... نهد خود لم يكسر خلعه الحسن على..... حلة تزهى بجوهر

فأنا ظرف لمسك ... و لكافور و عنبر

تتمثل تقنية صناعة هذه التحف الفنية بقطع كتل منتظمة من ناب الفيل، ثم تشكيلها لتكون العلبة أسطوانية الشكل عن طريق التجويف، أو لتكون مستطيلة الشكل عن طريق إزالة الأسطح المستديرة في الناب و بسطها ثم تفريغ البدن

---

[10] – مرزوق عبد العزيز، الفنون الزخرفية في مصر قبل الفاطميين ، مكتبة الانجلو مصرية ، 1974 ،ص 96.

[11] – عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، 2000، ص 188.

[12] – السيد سالم (عبد العزيز) ، فن العاج و استخداماته ، في الفن العربي الاسلامي ، المنظمة الوطنية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس ، 1970، ص 190.

[13] – قادوس عزت زكي ، ومحمد عبد الفتاح (السيد)،الاثار القبطية و البيزنطية ، مطبعة الحضري ، الاسكندرية ،2002 ،ص345.

[14] – مرزوق (عبد العزيز) ، الفنون الزخرفية في المغرب و الأندلس، دار الثقافة ، بيروت (دت) ، ص 181 .انظر ايضا السيد سالم عبد العزيز، فن العاج ، المرجع السابق ، ص 190.

[15]- Ferrandis, josé . **Marfiles arabes de Occidente,** tomo 1 , Madrid,1935.p.65.

و صقل الجوانب الأربعة بالمبارد تمهيدا لنقش الزخارف ، و بعد الفراغ من عملية النقش الغائر للتشكيلات الزخرفية النباتية و الحيوانية تدهن هذه التشكيلات ببعض الألوان و تلي ذلك مرحلة تركيب مفصلات العلبة التي تربط بين بدنها و غطائها[16].

أما أساليب زخرفتها فتدخل فيها عدة تقنيات منها أسلوب الحفر و الحز و التقطيع و التطعيم، و يعد أسلوب الزخرفة بالحفر من أهم التقنيات المستعملة في زخرفة العلب العاجية،و ذلك باستعمال أدوات خاصة منها الأزاميل و الدقماق الخشبي ، أما أسلوب التقطيع الذي يتطلب دقة في التنفيذ فيتم بتقطيع المادة و تفريغ المساحات الحرة المفصولة بين العناصر الزخرفية و ما حولها بواسطة منشار خاص أو بواسطة أداة حادة، وتظهر هذه الأشكال المخرمة على شكل دانتيلا بحيث يتسرب الضوء و الهواء من الفراغات الزخرفية المشكلة بهذا الأسلوب[17]، كما يعتبر أسلوب التطعيم من أجمل التقنيات الزخرفية على الصناديق العاجية ، تتمثل تقنيته في تحضير قطع صغيرة مصقولة من مواد مختلفة بأشكال فنية معينة ، ثم تحفر الأجزاء المراد تطعيمها في التحف ، وتثبت هذه القطع الصغيرة في الأجزاء المحفورة لتشكيل الزخرفة المطلوبة عليها ، و يتم تطعيم العاج بالفضة و الذهب[18].

الصورة رقم 1
مادة العاج

الصورة رقم 2
علبة عاجية لحفظ العطور

[16] – السيد سالم عبد العزيز، فن العاج و استخداماته ، المرجع السابق، ص 197.

[17] – حمودة حسن علي ، فن الزخرفة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1972، ص 138.

[18] – عاصم محمد رزق، المرجع السابق ، ص54 .

3-جمالية الزخرفة على العلب العاجية الاندلسية :

تحتفظ مختلف متاحف اسبانيا و أديرتها و كنائسها بالإضافة الى بعض متاحف العالم روائع و نفائس تحف الفن الأندلسي من العلب و الصناديق العاجية و التي وصل عددها الى نحو الثلاثين ما بين صناديق مستطيلة الشكل و علب اسطوانية ، تميزت هذه الأخيرة بجمالية خاصة ميزتها عن مختلف الفنون الصناعية الأخرى ،حيث كانت نقوشها و زخارفها تصف و تصور مظاهر الحياة الاجتماعية لأمراء و خلفاء الأندلس في القصور و المتنزهات ، فتنوعت فيها مجالس الطرب بآلاتها المختلفة ، و المبارزات الحربية بأسلحتها و ملابسها ، ومناظر صيد الوحوش و الحيوانات البرية ، و أزياء و ملابس الخاصة و العامة ، و طرق تصفيف الشعر عند الرجال و النساء ، اضافة الى النقوش الكتابية التي تضمنت نصوص و كتابات و تواريخ زادت من أهميتها و قيمتها.

يرجع الفضل في الحفاظ على العدد الكبير من العلب العاجية التي وصلت الينا الى جودة المادة العاجية التي صنعت منها ،و الى أنها تحفا للزينة ،و ثمة سبب اخر هام للغاية أن عددا من العلب العاجية كان من بين الغنائم التي تقع في أيدي عساكر الممالك المسيحية باسبانيا فكانوا يقدمونها للكنائس ، و الكاتدرائيات تعبيرا عن فرحتهم بالنصر، و كان الرهبان في الأديرة و القساوسة في الكنائس يحفظون فيها المخلفات المقدسة و هذا هو السر في احتفاظ الكنائس و الأديرة و الكاتدرائيات الاسبانية بكثير من هذه العلب الى يومنا هذا[19] ، و يرجع أقدمها عهدا الى القرن العاشر الميلادي و هو القرن الذي بلغ فيه الاسلوب الاموي في فن النحت على العاج منتهى مراجل تطوره ، ثم جاء القرن الحادي عشر الميلادي فبلغ الاسلوب الاموي الاندلسي درجة عالية من الاتقان و أصبحت التفريعات النخيلية أكثر تنظيما و الموضوعات أشد ازدحاما [20] .

تقسم هذه العلب من حيث الزخرفة الى ثلاثة أنواع: النوع الأول يشتمل على زخرفة من التوريقات التي تختلط أحيانا برسوم حيوانات، و النوع الثاني تنحصر زخارفه داخل جامات مستديرة أو مفصصة تطوق رسوما أدمية أو حيوانية محفورة، وأحيانا تنحصر في مناظر للصيد أو مجالس طرب و شراب ،والنوع الثالث تمثله زخارف دقيقة للأشخاص أو حيوانات بين توريقات.[21] **(الصور رقم 3،،4،5،6)**

تتميز هذه العلب بثراء زخارفها حيث تكسوها نقوش مختلفة تمثل جوانب من الحياة الاجتماعية في الاندلس و لا تخرج هذه النقوش عن ثلاث موضوعات أساسية كما سبق الذكر ،مجالس الطرب و الشراب ، و مناظر الصيد ، و مناظر المبارزات بين الفرسان ، بالإضافة الى تميز هذه الصناديق باحتوائها على كتابات أثرية تذكارية تلف عادة حول أسفل الغطاء ، و التي كانت تمدنا بكثير من الحقائق عن الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية في بلاد الاندلس في تلك الفترة المهمة من تاريخها ، و تبدأ هذه الكتابات دائما بأدعية ثم تذكر اسم صاحب العلبة و و أحيانا اسم السيدة التي صنعت لأجلها و كذلك المشرف على صناعتها و مكان الصناعة و تاريخها و اسم الصانع ، ومما يلفت الانتباه أن

---

[19] – مرزوق عبد العزيز، الفنون الزخرفية في المغرب ،المرجع السابق ، ص 182.

[20] – ديماند(م.س) ، الفنون الاسلامية ،ترجمة احمد محمد عيسى، مراجعة و تقديم احمد فكري ، دار المعارف ، القاهرة ،ط31982، (د م) ،ص ص. 133-134.

[21] – السيد سالم عبد العزيز، قرطبة ،المرجع السابق ، ص ص .132،133.

الأدعية التي تفتتح بها هذه الكتابات ذات طابع معين ،و تمتاز أحيانا بطولها و تقسيمها الى فقرات ، كما يلاحظ أن الاسماء كانت ترد مصحوبة بالوظائف و الالقاب الفخرية [22].

الصورة رقم 3

الصورة رقم 4

علبة حلي مزينة برسوم ادمية

علبة حلي مزينة برسوم حيوانية

الصورة رقم 5

علبة حلي من العاج مستطيلة الشكل

الصورة رقم 6

علبة حلي من العاج اسطوانية الشكل

[22] - الباشا حسن، موسوعة العمارة و الاثار و الفنون الاسلامية ، ط1 ، مج 2 ،أوراق شرقية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1999، ص.294.

وذلك ما ورد في احدى نماذج علب المجوهرات العاجية من عصر ملوك الطوائف وهو صندوق صغير محفوظ في متحف الآثار بمدريد نقل اليه من كاتدرائية بلنسية ، و هي من أهم القطع التي صنعت في مركز الصناعة بقونكة[23] .

حيث تتألف رسوم هذه العلبة من مناظر مستمدة من حياة الصيد بالإضافة الى رسوم حيوانات طبيعية و خرافية ، و كلها ممزوجة بزخارف نباتية محصورة داخل مناطق هندسية ذات أشكال مختلفة و يمتد أسفل جوانب غطاء هذا الصندوق شريط من كتابة كوفية نصهاّ "**بسم الله الرحمن الرحيم بركة دائمة و نعمة شاملة و عافية باقية و غبطة طائلة و ألاء متتابعة و عز و اقبال و انعام و اتصال و بلوغ امال لصاحبه أطال الله بقاءه مما عمل بمدينة قونكة بأمر الحاجب حسام الدولة ابو محمد اسماعيل بن المأمون ذي المجدين ابن الظافر ذي الرئاستين ابن محمد بن ذي النون أعزه الله في سنة احدى و أربعين و أربع مائة عمل عبد الرحمن بن زيان).(الصورة 7).**

و تدل الكتابة على أن هذه العلبة قد عملت لأحد أمراء أسرة ذي النون من ملوك الطوائف، و أنها صنعت في مدينة قونكة التي كانت من أهم مراكز هذه الصناعة في بلاد الأندلس في تلك الفترة ، اما اسماعيل صاحب العلبة فهو ابن يحي المأمون أمير طليطلة من بني ذي النون الذين حكموا طليطلة و قونكة ، و يبدو من الكتابات الأثرية التي وصلتنا ان اسماعيل هذا كان حاجبا بمدينة قونكة ، هذا و من الملاحظ ان ملوك الطوائف بالأندلس قد احتفظوا بلقب الحاجب رغم اتخاذهم ألقاب الملك و الخلافة ، و قد صار لقب الحاجب يعني في عصر ملوك الطوائف صاحب السلطان الأول في الدولة [24].

ومن العلب العاجية التي وصلتنا أيضا و هي تعد من أقدم النماذج و أفخمها ، علبة نقلت من كاتدرائية زامورا باسبانيا الى متحف الآثار بمدريد ، و تعرف بعلبة صبح البشكنجية و تسمى أيضا بعلبة الحكم الثاني ،و هي ذات شكل أسطواني وغطاء مقبب و تتألف زخارفها من أفرع نباتية منسقة بأسلوب زخرفي يخرج منها أوراق شجر و مراوح نخيلية و يتخللها طيور و حيوانات تمتزج معها في وحدة زخرفية جميلة، و يلف حول أسفل غطاء هذه العلبة كتابة محفورة بالخط الكوفي نصها (**بركة من الله الامام عبد الله الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين مما أمر بعمله للسيدة أم عبد الرحمن على يدي دري الصغير سنة ثلاث و خمسين و ثلث مائة) (الصورة 8) .**

فالإمام الذي أمر بعمل هذه العلبة و المشار اليه في هذه الكتابة هو الخليفة الحكم الثاني المستنصر بالله (350-366هـ) و قد ازدهرت في عهده الحضارة الأندلسية ازدهارا كبيرا و يتضح من الكتابة على العلبة أيضا أنها صنعت على يد دري الصغير و كان أحد أفراد الحاشية الصقلبية في قصر الخليفة ، و السيدة التي صنعت من أجلها هي زوجته المفضلة صبح و أم ولديه عبد الرحمن و هشام [25].

[23] - Dodds ,Jerrilynn .Al- Andalous the Art of Islamic Spain , distributed by Harry n.Abrams ,Inc, new york 1992,p.204.

[24] – الباشا حسن ، المرجع السابق ، ص 294.

[25] الباشا حسن، المرجع السابق ، ص .292

الصورة رقم 7 **الصورة رقم 8**

علبة عاجية لحفظ الحلي و أدوات الزينة **علبة صبح البشكنجية**

كما يحتفظ متحف اللوفر بباريس بنموذج اخر من أجمل العلب العاجية،و تسمى بعلبة المغيرة ، و هي تعد بفضل دقة صنعها و اتقان الزخارف المنقوشة عليها من أبرز التحف الفنية التي تم انجازها في مصانع مدينة الزهراء .

العلبة ذات هيئة أسطوانية و غطاء مقبب و يبلغ قطرها 8 سم و ارتفاعها 15 سم ،و تتألف رسومها الرئيسية من أربعة مناظر داخل مناطق مفصصة تمثل موضوعات مستمدة من الحياة مرسومة بطريقة زخرفية ، أما المساحات الموجودة بين هذه المناطق فتشتمل على رسوم أدمية و حيوانية على أرضية ذات زخارف نباتية ، و من المناظر رسم محفور يمثل فارسين متقابلين على جانبي نخلة تدلت عراجينها ،و رسم ثان يمثل مجلس طرب و موسيقى و يلف حول غطاء هذه العلبة شريط من كتابة كوفية نصها **(بركة من الله و نعمة و سرور و غبطة للمغيرة ابن امير المؤمنين رحمه الله مما عمل سنة سبع و خمسين و ثلث ماية)** . **(الصورة 9)** .

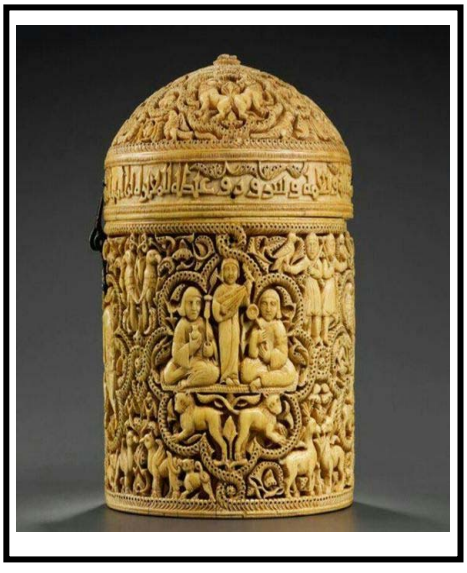

و من الملاحظ أن الكتابة تشير الى أن هذه العلبة قد عملت لرجل هو الأمير المغيرة ابن الخليفة عبد الرحمن الناصر و أخو الخليفة الحكم الثاني و من المعروف ان هذا الأمير قد قتل اثر محاولة قام بها بمساعدة الصقالبة بقصد أن يلي الخلافة بعد وفاة أخيه الحكم بدلا من ابن أخيه هشام[26] .

و من الجدير بالذكر أن معظم الزخارف النباتية التي تكسو سطوح هده التحف العاجية متشابهة مع نظائرها في التحف المعدنية أو في اللوحات الرخامية و الكسوات الحجرية و حتى في المنسوجات، فالعنصر الغالب عليها السيقان المتموجة و المتشابكة التي تكون لفائف و عقود مدببة الرءوس.

أما من حيث أسلوبها الزخرفي فهي تشبه الى حد كبير الاسلوب الاموي و أوائل العصر العباسي في المشرق ، ذلك أن معظم التحف العاجية هي غالبا علب تحتوي على زخارف نباتية قريبة من الطبيعة الى حد كبير ، مثل ورق العنب و عنقود العنب و كذا كيزان الصنوبر وورقة الاكنتس هذا بالإضافة الى سعف النخيل و الفروع النباتية و كثيرا ما تضم هذه العناصر النباتية وحدات هندسية على شكل دوائر مفصصة أو مناطق مستديرة متماسة و معينات أو مربعات و كثيرا ما يصاحبها شريط من الكتابات الكوفية المزهرة [27].

أما الزخارف و الصور الحيوانية و الادمية و التي يغلب عليها مناظر البلاط أو الصيد او الحرب أو عرض موضوعات ترمز الى الخير و الشر ووثوب حيوانات مفترسة على حيوانات أليفة أو رسم أزواج من الصور الادمية أو الحيوانية بينها شجرة الحياة فهي لا تختلف عن الصور و المناظر و الزخارف المنقوشة على التحف الشرقية مما يؤكد أن زخارف هذه العلب تأثرت تأثرا عميقا بموضوعات الزخارف الشرقية البيزنطية منها والمسيحية التي كانت سائدة هناك قبل الفتح الاسلامي [28] .

أما من حيث الناحية التطبيقية فان هذه العلب جميعها تمتاز بزخرفتها المحفورة حفرا عميقا مجسما بالنسبة للزخارف النباتية أما الرسوم الادمية و الحيوانية فهي تحفر أكثر بروزا مما يجعل الحفر يبدو على مستويين ، و اذا صاحب الموضوع الزخرفي رسوم هندسية كالإطار الذي يحيط بالموضوع أو بعض الوحدات الزخرفية ، فانه يحفر على مستوى ثالث و لكنه أقل المستويات بروزا [29] .

ان زخارف و رسوم هذه العلب العاجية تفصح عن فن بلغ الغاية في التقدم التقني و دقة التنفيذ و الأداء مع توافر كل مقومات الجمال من تطبيق مبدأ التوازن و التماثل في توزيع التشكيلات الزخرفية المتنوعة [30].

---

[26] – الباشا حسن، المرجع السابق ،.ص.293.

[27] – سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص 328.

[28] – ماهر سعاد ، الفنون الاسلامية ، هلا للنشر و التوزيع ،مكتبة الاسرة الجيزة،2005 ،ص 328. .انظر ايضا ،السيد سالم عبد العزيز ، فن العاج ، المرجع السابق ، ص 194.

[29] – ماهر(سعاد)، نفسه ، ص 329.

[30] - Gaston , Migeon. Manuel d'Art Musulman , t 2, paris ,1907, p.128.

خلاصة:

قامت في ظل الحكم الاسلامي للأندلس حضارة متميزة و فريدة من نوعها ، تميزت بالإبداع في مختلف المجالات و لا سيما في المجال الفني و المعماري، خلدتها الاثار المعمارية و الفنون الصناعية المختلفة ، و منها صناعة العاج التي كانت من أهم الصناعات الفنية في الأندلس ،و التي تعبر عنها التحف الفنية الرائعة للعلب و الصناديق التي وصلت الينا و التي بقيت شاهدة على احراز الاندلسيون قصب التفوق في كل ضرب من ضروب الفنون الزخرفية و لعل ما يعوضنا عن فقد الجنة التي تعهدها المسلمون في رياض الاندلس أن المجد الباذخ الذي أقاموه فيه ظل خالدا كما أنه أثر في الحضارة الانسانية أثرا عظيما لا ينكره منصف ، فقد كان و لا زال الاندلس منارة للحضارة و العلوم و الفنون و الاداب على مر العصور.

قائمة المصادر و المراجع :

-المصادر -

- ابن حيان ابو مروان حيان ، **المقتبس**، ج 5، المعهد الاسباني العربي للثقافة ، مدريد،1979.
- ابن عذارى ابو عبد الله محمد المراكشي ، **البيان المغرب في اختصار أنباء ملوك الأندلس و المغرب**" ، مج2، تحقيق بشار عواد محمود، محمود بشار عواد ، دار الغرب الاسلامي ، تونس ،1983.
- المقري شهاب الدين أحمد ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، مج 1 ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .، 1968.

-المراجع

- الباشا حسن، ، **موسوعة العمارة و الاثار و الفنون الاسلامية** ، ط1 ، مج 2 ،أوراق شرقية للطباعة و النشر ، بيروت .1999.
- جوميث مورينو مانويل ، **الفن الاسلامي في اسبانيا** ، ترجمة لطفي عبد البديع ، السيد محمود عبد العزيز ن مراجعة جمال محرز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1977.
-حمودة حسن علي ، **فن الزخرفة** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،1972.
- ديماند م س، **الفنون الاسلامية** ،ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة و تقديم احمد فكري ، دار المعارف ، القاهرة ،ط31982، (د م).
- السيد سالم عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس** ، ج 2 ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ،1997.
- **فن العاج و استخداماته** ، في الفن العربي الاسلامي ، المنظمة الوطنية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس ، 1970.
- عاصم محمد رزق ، **معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية** ، مكتبة مدبولي ،2000.
- فرحات يوسف شكري ، "**غرناطة في ظل بني الأحمر**"، دراسة حضارية ، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،1982.
- ماهر سعاد ، **الفنون الاسلامية**، هلا للنشر و التوزيع ،مكتبة الاسرة الجيزة،2005 مكتبة الاسرة الجيزة،2005 .
- مرزوق محمدعبد العزيز ،**الفنون الزخرفية في المغرب و الأندلس**، دار الثقافة ، بيروت . (د ت).

- **الفنون الزخرفية في مصر قبل الفاطميين** ، مكتبة الانجلو مصرية ، 1974.

- Ferrandis , josé **;Marfiles arabes de Occidente** tomo I , Madrid,1935.

-Dodds Jerrilynn ,**Al- Andalous the Art of Islamic Spain** , distributed by Harry n.Abrams ,Inc, new york 1992.

-Migeon , Gaston**, Manuel d'art musulman**, t 2, paris, 1907, p128.